سرديات سيرة ذاتية لرجل اعمال فلسطيني استثنائي كشهادة على العصر لإخفاقات فلسطينية وعربية مستمرة لا تنتهي

رجائي رفيق المصري

7 اب 2023

لم يتثن لي مقابلة او المعرفة الكافية بسيرة حياة رجل الاعمال الفلسطيني الاستثنائي السيد **محمد مسروجي** لغاية انكبابي على قراءة كتابا صدر حديثا تحت مسمى **"قيد وورود،"** عن السيرة الذاتية لمحمد مسروجي، وان كنت سابقا متشوقا جدا لمعرفة تاريخ الإنجازات والنجاحات الاستثنائية لهذه الشخصية الفلسطينية البارزة من مبعث فضول شكله انطباعات إيجابية قوية لمستها من واقع تعاملي المحدود في مجال الاستشارات الاستثمارية مع واحد من المدراء المسئولين من ذرية هذه الشخصية الفلسطينية في إحدى مؤسساته الممتدة, وذلك اثناء اقامتي المحدودة في فلسطين لمدة ست شهور كخبير عملت على إعادة هيكلة بنك متعثر عائدا لمجموعة من مستثمرين اخرون مختلفون حيث منعتني سلطات الاحتلال الإسرائيلية فيما بعد في تلك الاثناء تلك من دخول فلسطين لإكمال واتمام مهمتي.

ان قراءتي ووقوفي على السرديات الكثيرة الواردة في كتاب سيرة محمد مسروجي اكد لي **اولا** مصداقية ما كنت قد كونته من الانطباعات حول الرجل من حسن, بل نقاء السيرة الذاتية, وذلك عبر كافة مراحل سيرة حياته المتنوعة والممتدة كرجل اعمال, ذلك من ناحية, و**ثانيا**, من ناحية أخرى, مطابقة ما جاء في مذكراته وملاحظاته السياسية من سرديات مقززه يقشعر لها الجبين مما عانه وما حاف بالكثيرين من الفلسطينيين من الظلم الفادح وسوء المعاملة الغير محقه عبر التاريخ من كافة الأنظمة المتتالية التي تولت حكم الفلسطينيين منذ وقوع نكبة فلسطين عام 1948 والتي كنت بدوري احد الشهاد عليها ممن حافه بعضا من ذلك الظلم الفادح الغير مبرر والذي أدى ويستمر بالحاق اكثر الأذى بالفلسطينيين والذي بدوره أدى ويستمر يؤدي الى التراجع المستمر للقضية الفلسطينية.

لربما اصدق شهادة عن مصداقية وامانة وحسن سيرة والشهادة لنجاحات السيد محمد مسروجي عبر مشواره الطويل, هو ما جاء على لسان السيد مسروجي نفسه في سرديات سيرته حين لخصها بالكلمات المقتضبة, **"لعبة الحياة الصمود,"** مسهبا على ذلك كما جاء في الصفحة 163 من الكتاب, *"تعلمت من التجربة ان الصمود هو لعبة الحياة, ومن الممكن ان يستسلم أي شخص عند أي عقبة تواجهه, ولكن اذا استمر وصمد فلا بد له ان يصل,"* وذلك اذ جاءت تلك القناعات من واقع تجارب حقيقية من واقع مشوار طويل مرير.

الامر الاخر الهام والمحوري والاساسي والذي زين سيرة هذه الشخصية الفلسطينية المميزة من رجال الاعمال الفلسطينيين، وهو أيضا كما جاء ذكره على لسان السيد مسروجي في كتاب سيرته الذاتية، وكما يبدو، شكل نبراس مساره واسس لما قد انجزه وينجزه السيد مسروجي من النجاحات، الا وهو التزامه الدائم **"المصداقية."** اذ في هذا السياق يورد في سيرته الذاتية الكثير من الأمثلة الواقعية لينتهي الى التصريح بالشكل القاطع في الصفحة 165 من الكتاب, " *بمناسبة المصداقية فمنذ ان بدأت العمل وكنت تقريبا لا املك شيئا وكنت استدين من البنوك وكنت منذ ذلك الحين حتى الان افي بالتزاماتي,*" ليخلص الى القول, **"المصداقية مرتبطة بالثقة والعمل مرتبط بالثقة,"** وهي العبارة, بهذه المناسبة, مما رسخت في ذهني منذ طفولتي وانا اسمعها في مجالس جدي الحاج علي, رحمه الله, الذي كثيرا ما كان يردد عبارته المشهورة, **"من**

صدق الناس, شاركهم في أموالهم."

اما بشأن الواقع السياسي للفلسطينيين المتواصل في الإخفاقات المستمرة للشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية منذ نكبة فلسطين عام 1948 مما يحول دون أي تقدمات ملموسة ونقلة نوعية ذات معنى، فمردها في المقام الأول الى جانب غياب البصيرة والرؤية الجماعية مرده في المقام الأول هو عربي وفلسطيني وذلك كما جاء عرضا ومن الممكن استشفافه بوضوح من الاستنتاجات من واقع السرديات الحبلى بالأحداث عبر مسيرة جاوزت ال 75 عاما منذ نكبة فلسطين كما جاء التلميح لها في السيرة والتي عايشها أيضا الى حد بعيد كاتب هذا المقال نفسه.

من الممكن هنا ايجاز ثلاث او أربع قضايا وتطورات سياسية هامه عصفت بالفلسطينيين والقضية الفلسطينية ما بعد نكبة 1948 مما حالت دون قدرة الفلسطينيين على تدارك تبعات النكبة والانخراط بالبرامج البناءة من استعادة المبادرة والبناء خاصة من خلال التنظيم السياسي الواعي والفعال وبناء القدرات الذاتية لمقاومة الاحتلال داخل الاراضي الفلسطينية بغرض ردع المخططات الاسرائيلية المبيتة لاستكمال احتلال واستيطان ما تبقى من الاراضي الفلسطينية ولكامل فلسطين.

الثلاث او الاربع تطورات ومفاصل سياسية التي حالت دون التقدم بالقضية الفلسطينية ما بعد النكبة من الممكن ايجازها، وحسب ما ايضا ورد بشكل غير مباشر وذلك مما تم الاشارة والتلميح اليه في سرديات السيرة الذاتية للسيد محمد مسروجي، هي على النحو الاتي:

1) استحواذ النظام الاردني ذا الطابع الوظيفي لمشاريع الهيمنة الغربية لمناطق الشرق الاوسط كمناطق نفوذ, على الضفة الغربية ودمجها بالكامل سياسيا لمملكة شرق الاردن والغاء كامل الاحزاب والتنظيمات السياسية, وقمع كافة النشاطات السياسية وفرض نظام مخابراتي امني بوليسي صارم مشدد مناف لمتطلبات المرحلة من ضرورة نشر الوعي بالمخططات الاسرائيلية التوسعية المبيتة واعادة استنهاض وشحذ همم فلسطينيو الضفة الغربية لرص الصفوف وعمل الاستعدادات اللازمة لمواجهة المخططات الاسرائيلية المبيته القادمة والتي على راسها احتلال ما تبقى من فلسطين ليتمكن للصهاينة استيطان وتهويد كامل فلسطين كما تم فعلا في الخامس من حزيران عام 1967م.

لقد عشت كطفل وشاب في مقتبل العمر تفاصيل تلك الحقبة المظلمة لحكم النظام الهاشمي القمعي والبوليسي المخا باراتي الأمني القاسي للضفة الغربية والممتد لقرابة الست عشرة عاما والتي انتهت كما كان متوقعا دائما في ظل الغياب الكامل للتحضير للاستعدادات الفعالة لإحياء واستنهاض المقاومة الشعبية والعسكرية حتى لا تقع الضفة الغربية فريسة سهلة للاحتلال الإسرائيلي المبيت دون اية مقاومة ذات شان يذكر. اذ على العكس من كل ذلك, فبدلا من قيام النظام من تهيئة وتوعية وتحصين الشعب في الضفة الغربية للاحتلال الإسرائيلي المحتم القادم, مارس النظام الأردني شتى أصناف سياسات القمع الممنهج ضد الشعب بالضفة الغربية لقتل الروح الوطنية وذلك بدءا بخنق الحريات العامة بكل اصنافها المشروعة بداء بمنع كافة وسائل التعبير عن الراي من الكلمة والخطاب وحق التجمهر المشروع والاحتجاجات المبررة وحق التظاهر الى الالغاء والقمع الشرس للأحزاب السياسية والتنظيمات السياسية المشروعة القائمة منذ سنين ممتدة والزج العشوائي والتنكيل بمنتسبيها في السجون الغير معدة اصلا لاستقبال الادميين من سجناء الراي, وانزال اقسى العقوبات الغير مبررة بهم وباي مواطن يجرؤ على ابداء أي راءيا سياسيا او راءيا معارضا لسياسات وتوجهات النظام الغير مبرره.

لقد امتلأت معتقلات وسجون النظام بالمعتقلين السياسيين وحتى من المواطنين البسطاء من غير منتسبي السياسة لمجرد الاتهام بالتعبير عن راي, حيث امتد احتجاز وسجن المتهمون في اقسى ظروف الاعتقال الغير انسانيه ودون محاكمات مدنية عادلة وفي حال الكثيرون منهم دون فترات زمنية محدده والتي امتدت في حال الكثيرون لبضع سنيين, وذلك كما جاء وصفه في سرديات سيرة السيد محمد مسروجي الذي تم اعتقاله لفترات زمنية متعددة وفي سجون اردنية مختلفة, بما فيها السجون الصحراوية النائية, كسجن الجفر الصحراوي في جنوبي شرق الأردن, وذلك نظرا لانتماء السيد مسروجي مسبقا لحزب البعث الذي قام النظام بحظره دون أي مبرر ديمقراطي او قانوني او دستوري يذكر.

لقد استهدف النظام، لربما عن وعي او غير وعي، عن قصد او غير قصد، من خلال سياسات منع الحريات والاعتقالات التعسفية الظالمة للنشطاء السياسيين وإنزال اشد العقوبات وممارسة أقسى أصناف التعذيب الجسدي والمعنوي بالمعتقلين السياسيين بالتعاون الوثيق مع أجهزة المخابرات والامن البريطانية والأمريكية، وكل ذلك لقتل الروح المعنوية والوطنية والقومية والنضالية لشعب الضفة الغربية المستهدف ضمن المخططات التوسعية الاستيطانية الإسرائيلية.

2) الدور السلبي والمحبط والمضر في مستقبل التنظيم السياسي والنضالي لفلسطينيون المناطق المحتلة وزرع الانقسامات الداخلية المتعمدة، خاصة في مراحل انتفاضة الحجارة، الذي قامت به، وبغرض السيطرة الكاملة والاستفراد بالقرار وفرض النفوذ من قبل منظمة التحرير الفلسطينية في عهد الرئيس عرفات ما قبل وما بعد اتفاقيات أوسلو والتي تسببت باستفحال الاحتلال الإسرائيلي والتسبب بالدمج الكامل لاقتصاد المناطق الفلسطينية المحتلة وتبعيته الكاملة للاقتصاد الإسرائيلي المهيمن, الامر الذي حد من فرص التنمية الاقتصادية الوطنية الحقيقية الداعمة للصمود، وبعثرة الجهود ومن ثم تهميش الدور الريادي في المقاومة والنضال لمواطنون المناطق الفلسطينية المحتلة الاصليون اللذين هم الأكثر دراية وتعاطيا ومعرفة بالواقع الحياتي والشئون الديمغرافية والجيواقتصاديه لسكان المناطق الفلسطينية المحتلة.

مرة أخرى وكما اخذت على ترديد عبارة كم اننا العرب - في الغياب المطلق للثقافة الديمقراطية ومفهوم المرجعية المؤسساتية في الحكم طوال عشرات القرون – باننا مجبولون على عبادة الفرد وتركه في حل من المسائلة كحاكم فرد والالتزام بالتبادل السلمي للسلطة رغم ما يكون قد اقترفه ذلك الحاكم الفرد من الأخطاء المصيرية الجسام التي تضر بمصير ومصالح الامه، الامر الذي ينطبق على الكثيرون من القيادات السياسية في عهدنا القريب كمثال الراحلين صدام حسين وجمال عبد الناصر، وتباعا لذلك, انطباق الامر على ياسر عرفات واقرانه من القياديين في منظمة التحرير الفلسطينية.

هنا وفي سياق ما جاء في سرديات السيرة الذاتية للسيد محمد مسروجي، اظهر السيد مسروجي، وان بشكل عرضي وغير مباشر، كما استوقفني بعض الإشارات بالسردية عن الدور السلبي الذي لعبه المرحوم ياسر عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية في الحد من تطور واستقلالية صنع القرار واكتمال نضج التجربة السياسية لفلسطينيون الاراضي الفلسطينية المحتلة منذ ما قبل وأيضا بعد التولي الكارثي لياسر عرفات ومنظمة التحرير لزمام الإدارة المباشرة لشؤون الأراضي الفلسطينية المحتلة ما بعد اتفاقيات أوسلو, حيث لخص محمد مسروجي استنتاجاته لخلاصة حقائق بعض تلك المراحل ما قبل اتفاقيات أوسلو, كما جاء في الصفحات 181, 182 و 183 من كتابه بسرد الامثال الاتية:

"أواسط السبعينات من القرن الماضي أجريت انتخابات بلدية في المناطق الفلسطينية المحتلة وبأشراف الاحتلال ونجحت في هذه الانتخابات جميعها تقريبا الكتل الوطنية," مضيفا, "وفي تلك الأيام كان هنالك مد

شعبي ووطني عارم وكانت هنالك قيادة وطنية باسم لجنة التوجيه الوطني في جميع المناطق الفلسطينية تقود العمل الوطني ضد الاحتلال, الا انه ومع الأسف الشديد ورغم انتماء هذه القيادة الى منظمة التحرير الفلسطينية ورفعها شعار المنظمة هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني, الا ان المنظمة كانت تخشى من ولادة قيادة بديلة في الأراضي المحتلة فكانت بطريقة مباشرة او غير مباشرة تحارب أي تنظيمات او قيادات شعبية في الداخل او على الأقل تحاول اضعافها حتى يبقى الولاء خالصا للمنظمة."

أيضا ما جاء في هذا السياق من سرديات في الصفحات 193 و 194 و 195 و 196 من كتاب سيرة محمد مسروجي عن قصة التفاعل الإيجابي الذي تم بين ما بين المستشار النمساوي الدولي المشهور برونو كرايسكي ووفد زائر من رجال الاعمال الفلسطينيين والذي بينهم السيد مسروجي, وكيف ان المستشار كرايسكي ابدى غاية الاستعداد اذ كان صادق التوجهات بان تقوم النمسا بالدعم الاقتصادي السخي للاقتصاد الفلسطيني داخل الأراضي الفلسطينية اذ قام بعمل ترتيبات عدة في هذا الاتجاه فقط لتقوم منظمة التحرير بإجهاض وافشال مبادرات المستشار النمساوي حتى تظل المنظمة مستفردة ومحتكرة للقرار الفلسطيني, وذلك حسب الاتي مما جاء في سرديات السيد المسروجي:

"...وكان من ضمن البرنامج أيضا زيارة المستشار النمساوي في ذلك الوقت د. برونو كرايسكي، وكان يهوديا متعاطفا مع القضية الفلسطينية،" مضيفا، "وأخبرنا كرايسكي انه مستعد لدعم الاقتصاد الفلسطيني وذلك بتقديم مزارع للأبقار من اجل صناعات الالبان ومستعد لإعطائنا مصنعا لمادة اسمها ليبراكس بديلة عن الاسمنت وهي تكنولوجيا جديدة، وعال سنرتب لكم موعدا مع أوبك من اجل الدعم، وكانت جلسة إيجابية جدا ومجدية جدا وفيها دعم حقيقي للشعب الفلسطيني." هذا، "وعندما سألني المستشار كرايسكي عن أي طريق تفضل ان يأتي الدعم، اجبته عن طريق منظمة التحرير، فأخبرني عن نيته الذهاب الى الاردن في الشهر القادم وانه سيبحث مع الملك حسين موضوع إيصال الدعم لنا، وانه جرى ترتيب دعم للاقتصاد الفلسطيني مع دول أوروبية أخرى."

وذلك لينتهي السيد مسروجي من سرديته هذه ليذكر كيف ان منظمة التحرير قد قتلت قصدا هذا المشروع في المهد، مشيرا الى: *"ان السيد كرايسكي قد اتى الى عمان، وطلب منا ان نؤسس جسما اقتصاديا من اجل تلقي المعونات الأوروبية مباشرة، وعندما عدنا الى البلاد، اخذنا نعمل على تشكيل هذا الجسم الاقتصادي، ولكن حدثت مفاجأة لم أكن اتوقعها. فقد كان لدى منظمة التحرير الفلسطينية مكاتب في عمان وبها مكتب الممثل الاقتصادي للمنظمة في عمان، حيث زرته من اجل تسهيل هذا المشروع الكبير الذي نحاول تأسيسه لدعم الاقتصاد الفلسطيني، فأجابني ان الذي عطل المشروع هو نحن ويعني المنظمة، مبررا ذلك بأنهم اعتقدوا باننا نعمل لصالح الأردن، وانتهى المشروع عند ذلك."*

وقس على ذلك أمور أخرى كثيرة مما جاء على ذكر بعضها السيد مسروجي في مذكراته والتي لعبت فيها منظمة التحرير دور المعرقل والمثبط لنهوض قطاع اعمال وطني يدعم صمود الفلسطينيين داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة, موردا السيد مسروجي مرة أخرى حادثة أخرى دالة على حرص منظمة التحرير الاستئثار والاستفراد الخانق بأدق تفاصيل كل ما يتعلق بالشأن والحياة الفلسطينية, تلك المتعلقة بإحباط اتفاقية الادوية المصنعة في الاراضي الفلسطينية المحتلة الى العراق ضمن وصفقة تجاريه فريده ومجزية لتصدير معادلة الغذاء والدواء مقابل النفط المطبقة على العراق ما بعد غزو الكويت.

اذ أورد السيد المسروجي في سرديتاه بهذا الشأن ما جاء في الصفحات 197 و198 و199و200 من كتاب سيرته والواردة على النحو الاتي:

"في أحد مؤتمرات الصيادلة في عمان كان مساعد المدير العام للشركة مشرفا على معروضاتنا حيث التقى عضوا في البرلمان الأردني الذي تبرع ان يعمل على تصدير الادوية الفلسطينية الى العراق. نظم النائب لقاء مع رئيس وزراء الأردن الذي تعهد ان يضمن حصة تصدير للأدوية الفلسطينية للعراق بثلاثة ملايين دينار كدفعة أولى على حساب حصة الأردن من البروتوكول المعقود بين العراق والأردن. سعدت جدا لهذا النجاح الذي اعتبرته كبيرا بالنسبة لمبيعات الشركات الفلسطينية."

مضيفا السيد المسروجي:
"رتب النائب الأردني زيارة من مدراء شركات الادوية الفلسطينية الى بغداد لمقابلة المسؤولين وطلب المسؤولون العراقيون منا تقديم لتسجيل الادوية، وفي اليوم التالي قدمنا تلك الطلبات وأخبرنا المسؤولون في وزارة الصحة العراقية انهم سيوافقون على تسجيل الادوية موضوع الطلب. وعندما عدنا الى عمان، قمنا بزيارة مكتب منظمة التحرير الفلسطينية الاقتصادي، وفي المكتب الذي ذهبنا اليه في عمان التقينا مدير المكتب واخبرناه بما حصل معنا في العراق الذي اجابنا ان هذه الصفقة للأسف لن تمر لأنها لم تتم عن طريق منظمة التحرير."

لقد اتى السيد مسروجي في سردياته بأمثلة أخرى تبين سوء إدارة السلطة الفلسطينية زمن عرفات في التعامل مع القطاع الخاص الوطني الفلسطيني داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة مثال ذلك ما اتى على ذكره في الصفحات 224و 225, 231, و235 حسب المبين ادناه:

"... وفي تلك الاثناء عرض مستشفى للبيع في بيت لحم, وهو مستشفى جبل داوود, فشاركنا في المزاد كمجموعة تضم شركتي التامين الوطنية والفلسطينية للاستثمار والانماء وحصلنا عليه بمبلغ ستة ملايين دولار,.....وبعد ان فزنا بالمزاد توجه فريقنا الى الولايات المتحدة واتم صفقة البيع واكملنا كافة المتطلبات (كان مستشفى جبل داوود ملكا لجمعية أمريكية اقامته في بيت لحم كمستشفى تخصصي لمعالجة العظام وكان مختصا لعظام الأطفال وهو مشفى نموذجي بمعنى الكلمة ويمتلك احد عشر دونما في افضل المواقع في بيت لحم), وعندما وصلنا الى التوقيع النهائي قيل لنا ان الصفقة قد أوقفت, فحاولنا معرفة السبب وتوجهنا الى وزير العدل آنذاك فريح أبو مدين, فاخبرنا ان الموضوع ليس بيده..... وبعد ذلك عقد اجتماع مع ممثلين عن القطاع الخاص برئاستي مع الرئيس ياسر عرفات، وفي نهاية الاجتماع سالت الرئيس عن قضية مستشفى جبل داوود، فأجاب بحده: نحن نريد 30% من هذا المستشفى. مضيفا: هذا المستشفى ملك للشعب الفلسطيني، وأنتم تامرتم مع شوية لصوص امريكان واختتم المستشفى. فأجبته: لصوص او حرامية اخذناه بعد موافقتك، فقال: انا لم أوافق. فأجبته: هذا توقيعك مع عبارة على بركة الله..... وقبل ذلك كان قد دخل المرحوم فيصل الحسيني الى القاعة وتدخل وقال للرئيس: هؤلاء أناس محترمون ويعملون لصالح البلد. فزجره أبو عمار وقال له: اسمع يا فيصل، ما تخلينيش اغير راي فيك."

واسترسل السيد مسروجي في سرديته:

"...بالطبع لم نوافق وبقي الموضوع معلقا والمستشفى مغلقا..... والخاسر الوحيد في هذه الصفقة هو الشعب الفلسطيني الذي يموت على الحواجز بين المدن، وكان ذلك القول حقيقيا بسبب الاغلاقات المستمرة ومعاناة الناس."

اما في الشق الخاص بتدخلات منظمة التحرير الفلسطينية المسيئة لثورة الحجارة التي اندلعت في أواخر عام 1987 عما يبدو عن سبق نية وإصرار، فقد أورد السيد مسروجي في الصفحة 204 حيث افاد السيد مسروجي في روايته:

"كانت الانتفاضة تتطور وتؤذي الاحتلال بشكل مباشر وغير مباشر سواء مع الجيش وقوات الامن او مع المستوطنين الذين امتنعوا عن القدوم الى الضفة الغربية, كما توقف الاستيطان الى حد بعيد الى ان تدخلت بعض عناصر او فصائل منظمة التحرير حيث بدأت تدفع للأطفال والشبان الصغار بعض النقود من اجل جذبهم الى منظماتهم ففعل ذلك فعله السلبي في تحويل الانتفاضة من مقاومة خالصة لوجه الله والوطن الى اعمال يؤمل من ورائها الكسب, وقد تكور هذا التوجه مع نمو الشباب وترعرعهم فاصبحوا يشكلون مجموعات ضغط على التجار ورجال الاعمال ويطلبون دعما ماليا من اجل عائلات الشهداء والجرحى وتعويضات خسائر.. الخ. وتمادى بعضهم في ذلك لدرجة الاعتداء على من لا يدفع."

هذا وانني اكتفي بهذا القدر من السرديات من بعض ما اتى السيد مسروجي على ذكره وبالأدلة, بقوة دون منازع عن الادوار السلبية والمثبطة وحتى الكيدية التي اتبعتها منظمة التحرير الفلسطينية ما قبل وما بعد أوسلو لتهميش الدور الهام واجتثاث المبادرات والمهام المصيرية المنوطة بالقيادات الفلسطينية الوطنية داخل الأراضي المحتلة القيام بها لدعم وتقوية الصمود الحقيقي ضد الاحتلال الإسرائيلي الإحلالي في الأراضي السياسية الفلسطينية, طبعا انتهاء بكارثة اتفاقيات أوسلو التي قام ياسر عرفات بالالتفاف حول القيادات القديرة من ممثلو الاراضي الفلسطينية المحتلة كمثال الدكتور حيدر عبد الشافي, الدكتورة حنان عشراوي والدكتور مصطفى البرغوثي, واخرون كثيرون, بإبرام ياسر عرفات ومجموعته لاتفاقيات أوسلو السرية الكارثية بالخفاء.

3) عجز النخب الفلسطينية الاقتصادية، خاصة أولئك من خارج الأراضي الفلسطينية المحتلة، والنخب الاقتصادية والمالية العربية والمؤسسات العربية الممثلة، كهيئات منظمة جامعة الدول العربية، بالمساهمات الكافية والوفاء بواجباتهم الخالصة بالدعم الواعي الملتزم للاقتصاد داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة بغرض دعم صمود الفلسطينيين بهدف محاولة احباط مخططات الاستيطان والتهويد الممنهجة والمتسارعة.

لقد أوضح السيد مسروجي في بعض جوانب سرديات سيرته المذكورة ببعض الأمثلة المحددة المعبرة عن ظاهرة مستمرة لقصور الدعم الاقتصادي والمالي لراس المال الفلسطيني لرجال اعمال فلسطينيو الشتات وراس المال العربي الخاص بصفة عامة وكذلك مجهودات المؤسسات الرسمية العربية كتلك الممثلة بمؤسسات منظمة جامعة الدول العربية في الدعم المنهجي والمدروس والمتواصل لدعم اقتصاد الأراضي الفلسطينية المحتلة لخلق فرص العمالة المجزية وذلك بغرض دعم صمود الفلسطينيون داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة.

تظل المأساة الحقيقية والمستمرة ممثلة بقصور النخب العربية والفلسطينية عامة ورجال الاعمال خاصة عن الوفاء بما يحتمه الواجب والمسؤولية الوطنية في الاسهام الحقيقي في الدفاع عن المصلحة الحقيقية لشعوب الامة والوطن وايثار الغالبية العظمى لأصحاب المال تغليب الاهداف الضيقة في تحقيق الكسب المادي الخالص على خدمة الأهداف الوطنية البعيدة بحيث أضحت النخب الفلسطينية امتدادا متماهيا مع سلوكيات واهداف ومتطلبات الدولة العميقة قصيرة وضيقة الأهداف الذاتية.

هذا وقد أورد السيد مسروجي في سرديات سيرته ما يعزز هذا الاعتقاد وهذا الاستنتاج عند الوقوف على ما جاء في بعض هذه السرديات، وذلك باستحضار مثلا او أكثر مما رواه السيد مسروجي بشيء من الاستغراب عن التدافع الغريب لراس مال فلسطينو الشتات للاستثمار في مشاريع داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة توقعا لجني العوائد الاستثنائية مع توقيع اتفاقيات أوسلو مع انه قد شح حدوث ذلك طوال سنين الثلاثون عاما للاحتلال ما قبل اتفاقيات أوسلو.

ويضيف السيد المسروجي في الصفحات 229, 230 و231 كيف ان مبادرات ومجهودات رجال اعمال فلسطينيو الداخل لاستقطاب رؤوس الاموال العربية للاستثمار داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة مما يتسبب في دعم الصمود الفلسطيني في الأراضي الفلسطينية المحتلة لم تتكلل بالنجاح، موردا بعض الأمثلة على ذلك على النحو التالي:

"عام 1977 أي بعد عدة أعوام من تأسيس جمعية رجال الاعمال عقد مؤتمر في عمان من اجل تأسيس اتحاد رجال الاعمال العرب، فشاركنا كجمعية في المؤتمر وانتخبت هيئة تأسيسية.... كانت رويتنا عندما اسسنا الجمعية اننا تحت الاحتلال، ولا نستطيع التصرف بحرية في مواردنا الاقتصادية وفي التجارة مع الخارج وقد كانت التجارة تقريبا محصورة مع دولة الاحتلال..... ولإحساسنا بان حقوقنا وحقوق شعبنا بالإضافة الى الحقوق السياسية والمعيشية كانت مهضومة فكان لا بد من إيجاد اجسام تمثل الشعب في مختلف الأصعدة، وشعرنا بان وجود اتحاد لرجال الاعمال العرب قد يساعد كافة المشاركين في دعم الاقتصاد العربي، ونحن بشكل خاص كنا نتطلع الى الانعتاق من قيود الاحتلال."

مضيفا:

"بعد سنوات من تأسيس الاتحاد حصلنا على اعتراف من الجامعة العربية بان اتحاد رجال الاعمال العرب هو احدى مؤسسات جامعة الدول العربية....لم تسفر تلك العلاقات عن كثير من النتائج, والسبب الأول والعائق الكبير هو الاحتلال,...اذ اذكر مرة اننا كنا في زيارة للملك حسين في قصره بعمان, وكان يجلس بجانبي الملياردير المصري المعروف نجيب سويريس, فتحدثنا عن إمكانية دعم الشعب الفلسطيني فاخبرني انه على استعداد لدعم فلسطين وخاصة في مجال العقارات, فاتفقنا مبدئيا علي انشاء اسكانات شعبية, تكون بمتناول الطبقات محدودة الدخل, وباشرنا في دراسة الجدوى الاقتصادية للمشروع, وزرته في مكتبه في القاهرة اكثر من مرة, وسألني أخيرا: هل زيارتي وزيارة موظفي الشركة ممكنة ومضمونة, فقلت له: ان القرار في هذه الأمور بيد السلطات الإسرائيلية, عندها سألني: كيف يمكن ان استثمر بالملايين ولا استطيع الاطلال على مشاريعي! فقلت له: هذا هو الوضع في فلسطين. بعد ذلك اعتذر عن المضي في المشروع وهذا مثال لمئات المحاولات من رجال الأعمال العرب خاصة المتعاطفين مع فلسطين والشعب الفلسطيني."

وهنا اتى السيد مسروجي على سرد حادثه تختصر في رأيي خلاصة واقع عجز المؤسسات العربية الرسمية كما هوواقع كافة الأنظمة العربية الرسمية في تلبية والارتقاء الى مستويات توقعات وامال وطموحات الانسان العربي في سردية أوردها السيد مسروجي في الصفحة 235 من سيرته الذاتية عن حادثة وان بدت في ظاهرها طريفة الا انها في واقعها تمثل واقعا مفجعا لقضية مستمرة لا نهاية لها، الا وهو ما جاء ذكره حول جامعة الدول العربية، وعلى النحو التالي:

"اذكر في أواخر التسعينيات دعيت الى الجامعة العربية، ودعي اشخاص اخرون من البلاد العربية تحت عنوان: العمل العربي المشترك. تحمست للفكرة وذهبت، ....، وفوجئت بان المطلوب هو تبرع للجامعة العربية من اجل دعم موازنتها، لان مساهمات الدول العربية لا تكفي لدفع مصاريف الجامعة[1]."

خاتمة

تمثل سيرة السيد محمد مسروجي لما هو ابعد وأعمق في سرديتاها من بيان لسيرة ذاتية ضيقة الغاية والمنظور والاهداف، بل الى ما تمثله هذه السردية من جولة افق واسعة وعريضة عبر ازمان ومراحل متعددة حيث انها أضحت أداة، بل وسيلة نادرة قيمه تشخص سيرة مأساوية مستمرة لقصور مزمن لواقع عربي وفلسطيني مستمر لا يبدو انه قابل للتغير.

(1) هذا دون شك يفسر كيف ان منظمة جامعة الدول العربية هي الان خاضعة بالكامل لإملاءات الدول العربية الغنية المحافظة التي غالبا ما تتماهى اجنداتها واجندات الأنظمة الغربية بصفة عامه.